المظاهر الحضارية والعمرانية في الدولة الحفصية خلال العهد الإسلامي (625 – 916 هـ 1227 – 1510 م)

د. أبوبكر بشير سالم عبد الحفيظ
كلية التربية الزنتان– جامعة الزنتان

الملخص:

تناول هذا البحث المظاهر الحضارية والعمرانية في إفريقية، الممتدة من طرابلس شرقاً حتى بجاية غرباً، خلال العهد الحفصي الذي يمثل مرحلة تاريخية هامة من التاريخ الإسلامي بإفريقية، من هنا تتركز إشكالية الدراسة إلى التساؤل الرئيس المتمثل في: ما المظاهر الحضارية والعمرانية في الدولة الحفصية خلال العهد الإسلامي؟ وتهدف الدراسة إلى التعرف على أهم المظاهر والمعالم الحضارية والعمرانية في الدولة الحفصية، وتوضيح أهم المدن في إفريقية الحفصية، وإبراز أهم الإنجازات العمرانية بإفريقية في العهد الحفصي، وتبيان التأثيرات التي تعرضت لها العمارة الحفصية في إفريقيا، والكشف عن وصف العمارة الحفصية في إفريقيا، وأتبع الباحث المنهج التحليلي والنقدي التاريخي لفهم طبيعة الماضي للوصول إلى نتائج تبين علاقتها بالحاضر، وتوصل البحث إلى أهم النتائج المتمثلة في أن بقيام ***الدولة الحفصية*** بإفريقية وهجرة الأندلسيين إليها وترحيب الأمراء–الحفصيين بالمهاجرين الأندلسيين منذ قيام دولتهم واهتمامهم المعماري، وكذلك نقل المهاجرين–لفنون العمارة إلى إفريقية وخاصة مدينة تونس مما جعلها ذات طابع أندلسي خاص.

الكلمات المفتاحية: المظاهر، الحضارية، العمرانية، الدولة الحفصية، العهد الإسلامي.

Abstract:
This research dealt with the cultural and urban manifestations in Africa, extending from Tripoli in the east to Bejaia in the west, during the Hafsid era, which represents an important historical stage in Islamic history in Africa. From here, the problem of the study focuses on the main question of: What are the cultural and urban manifestations in the Hafsid state during the era? Islamic? The study aims to identify the most important cultural and urban aspects and landmarks in the Hafsid state, clarify the most important cities in Hafsid Africa, highlight the most important urban achievements in Africa during the Hafsid era, and demonstrate the influences that Hafsid architecture was exposed to in Africa.
Keywords: urban manifestations, Islamic history, Hafsid state

المقدمة:

بقيام الدولة الحفصية في الربع الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وخاصة في عهدي أميريها الأولين القويين أبي يحي زكرياء الأول، وابنه محمد المستنصر، وقدوم الهجرات الأندلسية إلى إفريقية منذ قيام الدولة وانتشار الأمن والرخاء، والاستقرار في إفريقية، وكان من نتائج الاستقرار السياسي، وما تبعه، من ازدهار اقتصادي، واجتماعي، فانعكس ذلك على الاهتمام بالبناء، والترميم للكثير من المؤسسات الدينية، والثقافية، والعسكرية، والمدنية المتمثلة في بناء وصيانة وترميم المكاتب، والمساجد، والزوايا، والمدارس، والحنايا، ولقد كانت معظم المظاهر العمرانية بإفريقية وخاصة مدينة تونس متأثرة بالفن المعماري المغربي، والمشرقي، وبدرجة كبيرة بالتأثير الأندلسي الذي أبدع فيه الأندلسيون في تطوير الفن المعماري الحفصي في إفريقية.

أولاً– أسباب اختيار الموضوع:

1– عدم توفر دراسات متخصصة في الحياة العمرانية بإفريقية الحفصية، وذلك لملء النقص الذي تعانيه المكتبة العربية في هذا المجال.

2– إزاحة الغبار عن الحياة العمرانية في العهد الحفصي.

3– طرح هذه الدراسة للعديد من الإشكاليات التي تتم الإجابة عليها من خلال هذا البحث.

ثانياً– منطقة الدراسة:

1– الحدود الجغرافية: تشمل إفريقية التي كانت تسيطر عليها الدولة الحفصية، والتي تمتد من طرابلس الغرب شرقاً حتى بجاية غرباً، ومن البحر المتوسط شمالاً، والصحراء الكبرى جنوباً.

2– الحدود الزمنية: وهي الفترة الممتدة من (625–916 هـ /1227 – 1510 م) أي من سيطرة الدولة الحفصية على إفريقية من الموحدين حتى استيلاء الإسبان على إفريقية عام (916 هـ / 1510 م).

ثالثاً––أهمية الدراسة:

1– تجذير الارتباط–الوثيق بين بلاد المشرق الإسلامي وبلاد المغرب والأندلس، وذلك لتأثر العمارة بإفريقية بهم جميعاً.

2– إيضاح أثر الاستقرار السياسي، والازدهار الاقتصادي، والثقافي في التوسع بالإنشاء والترميم للكثير من المظاهر العمرانية بإفريقية خلال العهد الحفصي.

3– استحدث منشآت متشابهة ومشتركة ولها علاقات بين مدن إفريقية.

4– كان للعامل الديني الأثر الكبير في عمليات الترميم، والإنشاء للكثير من المؤسسات الدينية بالتوسع بناء المساجد، والزوايا في معظم مدن وقرى إفريقية.

5- الابتعاد عن التاريخ السياسي بقدر الإمكان إلاّ ما يتطلبه الموضوع والاهتمام بالبناء، والعمران، وأثر ذلك في ازدهار الدولة وزيادة سكانها، وعمرانها.

رابعاً- تساؤلات البحث:

تتركز تساؤلات البحث في:

1- ما أهم المظاهر والمعالم الحضارية والعمرانية في الدولة الحفصية؟

2- ما أهم المدن في إفريقية الحفصية؟

3- ما أهم الإنجازات العمرانية بإفريقية في العهد الحفصي؟

4- ما التأثيرات التي تعرضت لها العمارة الحفصية في إفريقيا؟

5- ما وصف العمارة الحفصية في إفريقيا؟

بالإضافة إلى تساؤلات أخرى تتم الإجابة عنها كذلك.

خامساً – أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1- التعرف على أهم المظاهر والمعالم الحضارية والعمرانية في الدولة الحفصية.

2- توضيح أهم المدن في إفريقية الحفصية.

3-إبراز أهم الإنجازات العمرانية بإفريقية في العهد الحفصي.

4- تبيان التأثيرات التي تعرضت لها العمارة الحفصية في إفريقية.

6- الكشف عن وصف العمارة الحفصية في إفريقية.

سادسا: مشكلة البحث:

يمثل العهد الحفصي مرحلة تاريخية هامة في التاريخ الإسلامي في إفريقية، من هنا تتركز إشكالية البحث في سؤال رئيس المتمثل في: ما المظاهر الحضارية والعمرانية-في الدولة الحفصية خلال العهد الإسلامي؟

سابعا– منهجية الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج التحليلي والنقدي التاريخي القائم على جمع المادة ونقد مصادرها، ومراجعها وتقييمها، وترتيبها وتحليل أحداثها، وربطها مع بعضها البعض لضمان تماسكها، وفهم الماضي ثم الحاضر للوصول إلى نتائج علمية.

المبحث الأول: أهم المظاهر والمعالم الحضارية والعمرانية في الدولة الحفصية.

1- تأسيس السقاية بالعاصمة تونس وكذلك بعض المدن الأخرى، والتي كان من أشهرها السقاية الواقعة شرقي جامع الزيتونة.

2- إنشاء عدد كبير من الصهاريج، وموارد السابلة وحفر الآبار وتنظيم وتوزيع المياه بواسطة الخزّانات.

3- ترميم وتجديد الأسوار، والقناطر، والحصون، ومنها على سبيل المثال لا الحصر سور طرابلس وقنطرة وادي الفصل بهرقلة والحصن بالعاصمة تونس.

4- إنشاء الأسواق والحمّامات الكثيرة بالعاصمة تونس وغيرها من المدن مثل: سوسة، والمنستير، وصفاقس.

5- بناء وترميم المدارس والجوامع والمسجد بالعاصمة تونس وغيرها من مدن إفريقية.

6- إنشاء المحارس في الثغور البحرية للمرابطة، والزوايا في الطرقات لعابري السبيل، ومنها الزاوية المقامة بعين الزميط بين تونس وباجة، وزاوية الفندق قبلي جبل زغوان وقرطابة بين قفصة وتوزر.

7- بناء العديد من الكتاتيب وتشييد الميضأة بسوق العطّارين بجانب المكتبة الخلدونية.

8- إنشاء القصور والحدائق والبساتين والتي كان من أشهرها قصر باردو، وقصر رأس التين، وقصر أبي فهر، وبرج السلاسل بالمرسى

9- [1].

توجد إشارة وردت عن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص تتعلق بالمعمار قبل قيام الدولة الحفصية عند مجيئه إلى طرابلس الغرب وهي بناء فصيل أقصر من سور طرابلس الغرب يسمونه الستارة في شهر شعبان عام (614هـ /1216 م-) وهذا التاريخ مكتوب على باب من أبواب الستارة يسمى بباب عبدالله، وهذه الستارة لم يصلونها بالبحر وانتهوا بها إلى الباب الأخضر الذي بينه وبين البحر فسحة تم بناؤها أيام إقامة محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص بطرابلس الغرب[2].

كما أنشأ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص الجامع المعروف باسمه في تونس، والذي أصبح اسمه فيما بعد مسجد الباي محمد والذي يقع في حي باب سويقة بشارع الحلفاويين [3] باستقرار الدولة الحفصية بدأت تظهر المنشآت على يد الأمير أبي زكرياء يحي في مدينة تونس ومن أبرزها جامع الموحدين وصومعة الجامع العجيبة في البناء ومصلى العيدين، ومدرسة الشمّاعين، وسوق العطّارين، وعلى الصعيد الحربي والدفاعي، فقد أنشأ حصن تونس وتم تجديد رسوم القصبة [4].

أما الأمير المستنصر الحفصي-فقد بنيت في عهده السقاية شرقي جامع الزيتونة عام (648 هـ / 1250 م-)، وفي نفس هذه السنة ابتدأ بناء رياض أبي فهر، ونصبت المقصورة في جامع الموحدين، وفي عام (651هـ / 1253 م-) أمر ببناء

---

[1]- عامر، أحمد الدولة الحفصية، دار الكتب الشرقية، تونس (ب- ت-)، ص 75-76.

[2]- التيجاني، أبو محمد عبدالله، رحلة التيجاني دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس – الجماهيرية، (ب- ت-)، ص 240.

[3]- خورشيد، إبراهيم زكي دائرة المعارف الإسلامية، ج10، ص172 – 173.

[4]- ابن الشمّاع، أبوعبدالله أحمد، الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم، الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب-/ 1984م، ص 56 – 57.

قبة الجلوس بتونس والمشرفة على ينتجمي، وبني الممشى أو الممر من القبة إلى رأس الطابية ويتصل أخيراً برياض أبي فهر وهو الممر الذي خُصِّص لعبور الحريم التابع للقصر السلطاني، وفي عام هـ / 1268 م–) أنهى الأمير المستنصر إصلاح الحنايا التي صرف ماءها إلى رياض أبي فهر الشهيرة [5].

كذلك اهتم الأمير الحفصي الواثق المتولي لمقاليد الحكم الحفصي عام (648 – 675 هـ / 1250 – 1276 م–) بتجديد وترميم جامع الزيتونة الأعظم وغيره من المساجد في إفريقية بصفة عامة [6]، وأنشأ الأمير أبوالعباس أحمد عام (747 هـ / 1346 م) سباله المدينة ببطحاء ابن مردوم، والبرج الكبير المعروف بقرطيل– المحار الذي يقع شرقي كَمَرْت* [7].

أما الأمير أبو فارس عبد العزيز (796 – 837 هـ / 1394 – 1434م–) فقد قام بأعمال عمرانية كثيرة في مدينة تونس وخارجها ومنها بناء الزاوية الواقعة خارج باب البحر للصلاة والتدريس وقراءة القرآن ومقر لإقامة الطلبة وبناء الماجل بمصلى

---

[5]– الزركشي، أبي عبدالله محمد، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، المكتبة العتيقة، تونس–/ 1966م، ص 33– 34.

[6]– ابن القنفذ، أبو الباس أحمد، الفارسية في مبادي الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم: محمد الشاذلي النيفر وآخر، الدار التونسية للنشر / 1968، ص 136.

* كَمَرْت: مدينة قديمة مجاورة لقرطاجنة، تبعد عنها ثمانية أميال شمال تونس، يسكنها الكثير من زرّاع الخضر الذين يحملون إنتاجهم إلى تونس، وكتفى من يشتريه بمصه لأنهم يجهلون استخراج السكر منه، الوزان، الحسن بن محمد: وصف أفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد الحاجي وآخر، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط2 / 1983م، ص82.

[7]– الزركشي، مصدر سابق، ص 107.

العيدين وأخرج منها سبيلين للماء لسقاية الناس والدواب[8] وبنيت زاوية تقع خارج باب أبي سعدون بحومة باردو، والزاوية الواقعة بحومة الداموس خارج باب عليوة[9].

ومن أعظم المنشآت العمرانية على يد أبي فارس المحارس الجميلة التي تحيط بالثغور كمحرس الحمّامات، وأبي الجعد، وادار، ورفراف [10].

أما الأمير أبوعبدالله المستنصر (837 هـ / 1435 م–) فأمر ببناء زاوية أحمد بن عروس وبناء سقاية الماء بداخل باب أبي سعدون وشرع في بناء مدرسة ضخمة بالقرب من سوق الفلقة[11].

المبحث الثاني: أهم المدن في الدولة الحفصية:

إن المدن العامرة في إفريقية خلال–العهد الحفصي هي:

أ – مدينة تونس العاصمة الحفصية وتراجع مدينتي القيروان والمهدية.

ب – مدينة طرابلس الغرب.

أ – مدينة تونس:

بلغ عدد أبواب مدينة تونس خلال العهد الحفصي اكثر من سبعة أبواب، وكانت هذه الأبواب هي حلقة وصل وربط بين الأرباض، وسبل المواصلات البرية وكان أمام كل باب من الأبواب الداخلية ربض، وتوجد أرباض واسعة خارج المدينة وهما الربض الشمالي، ويدعى بربض باب سويقة، والذي قُدِر عدد منازله بألفي منزل ويقابل ذلك

[8]– ابن الشماع، مصدر سابق، ص 114؛ المطوي، محمد العروسي، السلطنة الحفصية، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان /1986م، ص 594.

[9]– الزركشي، مصدر سابق، ص 115 – 116.

[10]– المطوي، مرجع سابق، ص 595.

[11]– ابن الشماع، مصدر سابق، ص 120.

في الربض الجنوبي في باب الجزيرة ألف منزل [12]، ويحدد حسن الوزان سكان ربض باب سويقة ثلاثمائة عائلة، وبعشرة ألاف عائلة خارج باب المنارة [13].

ب – مدينة طرابلس الغرب:

إن مدينة طرابلس الغرب في الفترة من القرن السادس الهجري – التاسع الهجري / الثاني عشر – الخامس عشر الميلادي، شهدت معالم وإنجازات عمرانية وحتى أنها لم تكن عائدة للعهد الحفصي، ولكنها بقت ماثلة وموجودة خلال العهد الحفصي [14].

إن التيجاني أفضل من أعطى صورة واضحة لمعالم مدينة طرابلس الغرب خلال العهد الحفصي، فكان حديثه عن طرابلس مستفيضاً ومفصلاً، فتناول التيجاني خلال رحلته مدينة طرابلس ومعالمها العمرانية ومكانتها بين المدن الإسلامية المغربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، وكانت أهم المعالم والمنشآت العمرانية المشهورة والبارزة في المدينة أيام مرور الرحالة التيجاني بها عام (706 – 708 هـ / 1306 – 1308 م–) وهي:

1–ذكر قصبة البلد فوصفها بالفخامة، وذكر بأنها تعرضت للخراب ولهذه القصبة رحبتان متسعتان ويوجد خارجها المسجد الذي عرف بمسجد العشرة.

2–بعد وصفه للقصبة، وصف مسجد العشرة.

[12]– الدولاتلي، عبد العزيز، مدينة تونس في العهد الحفصي، تعريب / محمد الشاذلي والدولاتلي، دار سراس للنشر–/1981م، ص 117.

[13]– الوزان، مصدر سابق، ج2، ص74.

[14]– ابن الشماع، مصدر سابق، ص 36.

3–وصف شوارع المدينة بالاتساع والاستقامة والنظافة أن هذه الشوارع تخترق المدينة طولاً وعرضاً من أول المدينة إلى آخرها على هيئة شطرنجية، والسائر في هذه الشوارع يسير براحته فيمشي فيها مشي الرخ.

4– وصف الرياض وهو الموضع المقابل للقصبة [15].

5– وصف حمّام البلد الذي كان في العهد الحفصي محبّساً على بعض المساجد.

6–وصف أبواب المدينة وهي عديدة كالباب الأخض وباب هوارة، وباب البحر، وباب الستارة، وتطرق للرحبة المتسعة التي يباع فيها المواشي والأغنام [16].

7–وصف مصلى البلد الذي كان حديث البناء خلال العهد الحفصي، وكان موقعه بجانب مرسى البلد، وباب البحر.

8–وقد وصف التيجاني العديد من المساجد من بينها مسجد عمرو بن العاص، ومسجد الشعاب، ومسجد خطّاب، ومسجد الجدود، ومسجد المجاز، وأشهر هذه المساجد المسجد الأعظم الذي تم بناءه على يد بني عبيد، فوصفه التيجاني بالاتساع وكان على أعمدة مرتفعة وسقفه حديث التجديد، وبه منار متسع مرتفع وقائم من الأرض على أعمدة مستديرة، وكان بناءه في العام المكمل للسنة الثالثة على يد خليل بن إسحاق [17].

أما المدرسة المستنصرية التي تعتبر من أعظم وأبرز الإنجازات العمرانية في طرابلس الغرب خلال العهد الحفصي بإفريقية فقد أسسها الأمير الحفصي المستنصر، وتم

---

[15]– الولاتلي، مرجع سابق، ص 117– 118.

[16]– الإدريسي، الشريف أبوعبدالله محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية /2002م، ص 297.

[17]– التيجاني، مصدر سابق، ص 237– 238.

إرساء دعائمها الفقيه أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا بين عامي (655- 658 هـ / 1257 – 1260 م-) وهي من أحسن المدارس وضعاً وألطفها صنعاً[18].

المبحث الثالث: أهم الإنجازات العمرانية في العهد الحفصي:

أ=الجامع الموحدي بالقصبة:

تتم دراسة هذه العينة من الجوامع ليتضح كيف كانت الحياة العمرانية في إفريقية وأبرز معالمها خلال العهد الحفصي.

يعتبر هذا الجامع من المعالم العمرانية الحفصية المهمة والشاهدة على حضارة وفن العهد الحفصي، والفن المغربي، وقد أُنْجِز على يد الحفصيين وحمل خصائص مميزة للعمارة الحفصية.

لقد قام الأمير الحفصي أبو زكرياء يحي ببناء هذا الجامع الذي عُرِف بجامع القصبة بتونس عام (629 هـ / 1231 م-) وجدّد رسوم القصبة، وباكتمال صومعة الجامع في شهر رمضان عام (633 هـ / 1235 م) صعد الأمير أبو زكرياء يحي إلى مئذنة الجامع وأذّن فيه ويقال بأن بناءه قد انتهى عام (633 هـ / 1235 م)[19].

إن صومعة الجامع الموحدي كان شكلها عجيبا ص في ذلك الوقت، وقد نُقِش عليها اسم أبي زكرياء في مكان بارز يمر من أمامه المارة ويقرأون ما هو مكتوب، وكان

[18]- المصدر السابق، ص 239 – 240.

[19]- المصدر السابق، ص 237 – 253؛ المعموري، الطاهر، جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي، الدار العربية للكتاب / 1980 م، ص 46.

تاريخ بناء هذه الصومعة عام (626 هـ / 1231م-) كما نصبت المقصورة في هذا الجامع عام (648 هـ / 1250 م-)[20].

إن أول صلاة أُقِمت فيه هي صلاة الصبح في شهر رمضان عام (633 هـ / 1235 م-)، وكان المؤذن هو الأمير الحفصي نفسه (أبو زكرياء-) [21].

سمي هذا الجامع بالجامع الموحدي لسلف مؤسسه وسمي بجامع القصبة لوقوعه في قلب القصبة، وأطلق عليه الجامع الحفصي وخاصة في الأوساط التاريخية العلمية، ومنذ أن أصبح فرعاً وجزءاً مدرسياً تابعاً لجامع الزيتونة عام (751 هـ / 1350 م) وسمي بالحفصي نسبة إلى الذي قام ببنائه وهو أبو زكرياء الحفصي [22].

أما بخصوص صومعة الجامع العجيبة الصنع والتي أطلق عليها اسم المنارة فكانت بعيدة عن مركز بيت الصلاة والأروقة، وتحتل الزاوية الشمالية الشرقية، وممتدة من الجهة الغربية إلى جدار الجهة الشمال الشرقي والجنوب الغربي، وكان له اتصال بتحصينات القصبة الخارجية ويتم الاتصال بنافذة الأذان عن طريق سلّم يلتف حول النواة المركزية، والتي تحتلها الغرفتان المركبتان وتستند المدارج إلى أقبية، ويتم الانتقال بين طوابق السلّم بواسطة استراحات ترتكز على أقبية، وهذا من خصائص عمارة الصوامع والمنائر الموحدية، وزودت منارة جامع القصبة بوسائط للتهوية والإضاءة، وتعتبر هذه الصومعة من أجمل صوامع تونس وهي على شكل الصوامع والمنارات المغربية والأندلسية، واستخدم أهل تونس في بناء هذه الصومعة الحجارة

---

[20]- التيجاني، مصدر سابق، ص 251 – 252.

[21]- الزركشي، مصدر سابق، ص26-27.

[22]- ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة النهضة / 1350، ص 156-157.

التي برع أهل تونس في ترتيبها وهندستها حيث استخدموا بعض القوالب الحجرية المصنوعة بإحكام، واستخدموا نوعين من الزخارف المعينية الأول يتعلق بالواجهتين الشمالية والجنوبية والثاني بالشرقية والغربية [23].

بني تحت أرضية بيت الصلاة العديد من المواجل الكبيرة والتي تمتاز بالمتانة والشدة، ووجِدت فتحة تستخدم للدخول مباشرة للصهاريج، ووجِدت خمس تيجان مكسوة بزخارف منحوتة، وأن العنصر الزخرفي الوحيد يتمثل في الأقواس وتناسق الأعمدة [24] وفيما يتعلق بالمسجد كذلك فقد تغلب النظام المعماري والزخرفي الأغلبي بينما سيطرت التقاليد المغربية والأندلسية على المحراب، وخلاصة القول أن هذا المسجد قد تأثر تأثيراً كبيراً بالمؤثرات والطراز المعماري المغربي في المغرب الأقصى وكذلك الطراز الأندلسي[25].

كانت خطبة هذا الجامع هي الخطبة الثانية في مدينة تونس بعد جامع الزيتونة وكانت تقام في هذا الجامع الذي عُرِف بالجامع الملكي، وجامع دار السلطان شعائر المذهب المالكي، وكان لهذا الجامع علم أبيض يُنْشر من صومعة الجامع بمثابة المنبه للجامع ولمؤذني الجوامع بدخول وقت الصلاة، أما عن الأذان فقد كان المؤقتون من تقاة المسلمين يتولون خطة التوقيت بترخيص من الأمير الحفصي [26].

---

[23]– ابن أبي ضياف، أحمد، إتحاف أهل–الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان تحقيق لجنة من الشئون الثقافية والأخبار، الدار التونسية للنشر / 1976م، ص 198 – 199. –

[24]– ابن الخوجة، محمد، تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد تقديم الجيلاني بن الحاج وحمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط2 / 1985م، ص 157.

[25]– الدولاتلي، مرجع سابق، ص 154 – 156.

[26]– المرجع السابق، ص 162 – 163.

مما سبق دراسته بجامع القصبة يتبين أن هذا الجامع من أهم جوامع تونس في العهد الحفصي بعد جامع الزيتونة المعمور لما له من حسن وإتقان عمارة وأهمية موقع مشرف على كل جوامع تونس فكان هو المنبه والمؤذن للجوامع بدخول وقت الصلاة، ويتمثل فيه الفن المعماري الحفصي خلال ذلك العهد.

ب – حنايا زغوان وجنان أبي فهر:

الحنايا هي جمع حنية من البناء وهي مكان منحني كالقوس، وسميت بالحنايا لأنها تقام على الأقواس، وكان ارتفاعها حوالي 20 متراً، ويمكن أن نسميها بالقنوات، وهي جمع للقناة وكانت القناة تعني المكان الذي تجري فيه المياه [27].

أهم إصلاح خضعت له حنايا زغوان الذي تم في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي خلال العهد الحفصي على يد الأمير أبي عبدالله المستنصر عام (666 هـ / 1267 م–) وبناء رياض أبي فهر المقترن بالحنايا عام (648 هـ 1250 م) وهو تاريخ بناء السقاية بشرقي جامع الزيتونة، وفيها بدأ البناء برياض أبي فهر في عهد الأمير المستنصر عام (665 هـ / 1266 م–) وأكمل الأمير المستنصر بناء الحنايا العادية المجلوب عليها مياه جبل زغوان إلى قرطاجنة والذي صُرِف إلى حنية ورياض أبي فهر قدر كبير منها [28].

ويقول ابن الشماع أن اكتمال بناء الحنية العادية عام (666 هـ / 1267 م–) فجُعِل جزءاً من هذا الماء لسقاية جامع الزيتونة والباقي لرياض أبي فهر [29].

---

[27]– المرجع السابق، ص 163 – 170.

[28]– ابن الخوجة، مصدر سابق، ص 160 – 163.

[29]– العامري، محمد الهادي، تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول، الشركة التونسية للنشر والتوزيع –ت، ص 32–33.

إن جنان ورياض الأمير المستنصر هي التي حصلت على مياه زغوان والقليل إلى سقاية جامع الزيتونة في أنابيب من الرصاص ويستسقي منها الغرباء والذي ليس في داره ماء، وكان يكثر عليها الازدحام [30].

وحنية أبي فهر هي المعبر عنها بالبطون، وكانت أقواسها طابية كما كانت هذه القواس كثيرة ويسيرة فجلب عن طريقها الماء [31].

إن هدف الأمير الحفصي المستنصر الأول والأخير هو استعمال الحنايا–لمصلحة العاصمة الحفصية تونس بالدرجة الأولى، لذلك عمل على تأسيس فرعين لجلب المياه، الأول يتجه لمدينة تونس والثاني يتجه لرياض أبي فهر من ضاحية أريانة **، فبقرب طريق بنزرت كان ينطلق الفرع الأول من حنايا زغوان على بعد أربع كيلومترات شمال غربي تونس متجهاً نحو المدينة يُرفع على قناطر تصل إلى هضبة رأس الطابية في مكان تواجد رياض أبي فهر [32].

ورغم محاولات الأمير الحفصي المستنصر الكثيرة لإصلاح الحنايا إلاّ أنه تحصل على قدر قليل من الماء صرف معظمه على رياض أبي فهر، وكانت كميات المياه المجلوبة في مجملها في الفصول الممطرة تصل إلى 14,000 ألف متر مكعّب في حين أن الحنايا القديمة تجلب كمية كبيرة من الماء تقدر ب 23,000 ألف متر مكعّب أي بمعدل 820 لتر في الثانية، وفي فصل الصيف تنخفض الكمية حتى

---

[30]– ابن القنفذ، مصدر سابق، ص 117 – 118 – 127.

[31]– ابن الشماع، مصدر سابق، ص 67–68.

** أريانة: قرية من عمل قرطاجنة إفريقية بمقربة من تونس مسندة إلى الحنية العادية / الحميري، محمد، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ب–ت، ص 25.

[32]– أبوعبدالله، محمد بنعلي، رحلته، تحقيق: علي إبراهيم كروي تقديم: شاكر الفحام، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 / 1999م، ص110.

تصل إلى 2290 متر مكعّب، فيكون نصيب جنان أبي فهر منها 2082 متر مكعّب والمتبقي للمدينة 218 متر مكعّب فهي كمية قليلة لذلك نلاحظ ازدحام السكان حول سقاية الزيتونة[33].

مما سبق نستنتج أن محاولات الأمير المستنصر الإصلاحية لحنايا زغوان كانت تمثل له الشرف في ذلك، لأن هذه الحنايا لم تشهد أي محاولات إصلاح بعده، فكل من يتجه للعاصمة تونس تثير انتباهه تلك الحنايا حتى ولو كانت بدون مياه، فهي تمثل عظمة العمارة والتشييد في العهود السابقة للعهد الحفصي في تونس وتسهد بعمق الحضارات خلال العهود السابقة للعهد الحفصي.

أما عن رياض أبي فهر فقد وصفها المؤرخون ومنهم على سبيل المثال ابن خلدون فأشار إلى أن السلاطين الحفصيين بنوا قصوراً مشتملة على العديد من البساتين، والتي كان من أشهرها قصر باردو ورأس الطابية وقصر أبي فهر بالقرب من أريانة كما سبق الذكر، وقال عنه ابن خلدون((: واتخذ محمد المستنصر بالله خارج العاصمة البستان الطائر الذكر المعروف بأبي فهر يشتمل على جنّات معروشات، اغترس فيها من شجر كل فاكهة، من أصناف التين والرمان والنخيل، والأعناب، وسائر الفواكه، وأصناف، الشجر ونضَّد كل صنف منها في دوحة حتى لقد اغترس من الدر والطلح، والشجر البري-))[34].

وسميت هذه الدوحة بالشعراء ومن الأشجار المغروسة فيه، الليم والنارنج والسرو والريحان والياسمين والنيلوفر، وجعل في وسط هذه الرياض روض فسيح في ساحته جُلِب الماء لهذه الرياض في القنوات التي سبق ذكرها، وجعل الأمير المستنصر

[33]– ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 35.

[34]– الدولاتلي، مرجع سابق، ص 129.

جابية في أحد بساتينه كانت شبيهة بالبحيرة مملوءة بالماء، وكانت تجري فيها القوارب، وتعرف بجابية(الحفاصة–) بالقرب من أريانة احتوت ستمائة شجرة من الزيتون [35] وفي ختام الحديث عن حنايا زغوان ورياض أبي فهر بقي أن نتحدث عن بعض أشهر الأشعار التي قالها الأديب حازم–القرطاجني في حنايا زغوان وجنة أبي فهر:

أجريت من عين ومن عين بها نهرين قد عمّا البرايا والبري
وكفرت طاعته لمؤمن طاعته لكافر فيما مضى
وانساب في قصر أبي فهر الذي بكل قصر في الجمال قد زرى
قصر تراءى-بين بحر سلسل وسجسج من الظلال قد ضفا
بحيرة قد أعلى الإله قدرها قد عذب الماء بها وقدرها[36]

أ–التأثير المغربي:

خضنا فيما سبق عند الحديث عن جامع القصبة بتونس ومدى التشابه والاختلاف بين صومعة جامع القصبة التي بناها صاحبها بشكل صوامع الأندلس والمغرب بتونس، وبين صومعة جامع الكتيبة بمراكش، لكن هذه–تفوقها–بكثير في الارتفاع– لأنها تناطح السحاب بارتفاعها [37].، ولذلك لا نريد إعادة ما سبق دراسته.

[35]– الدولاتلي، مرجع سابق، 130 – 131.

[36]– ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر ج6، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1 / 1992م، ص355 – 356.

[37]– ابن أبي ضياف، مصدر سابق ج1، ص 204 – 205.

ب – **التأثير المشرقي:**

إن العمران في إفريقية يتجاوب مع التيارات العمرانية التي برزت في ذلك الوقت، فمنها ما هو محلي ومنها ما هو مشرقي أو مغربي أو أندلسي [38].

التأثير المشرقي على العمارة في إفريقية–كان–مصرياً–بصورة–خاصة والمثال على ذلك ميضاة–الأمير، بنيت في عهد الأمير الحفصي أبي عمرو عثمان عام (852 هـ / 1448 م–) وكانت هذه الميضاة في غاية–الإتقان والفخامة بدرب ابن عبد السلام بجانب الجامع الأعظم وأوقف عليها الأمير أبو عمرو عثمان وقفاً مستمراً لتوفير كل ما يتعلق بها من احتياجات[39].

كانت هذه الميضاة تتكون من سقيفة يتبعها دهليز منهياً إلى صحن تحيط به المراحيض وقبل دخول الصحن هناك قوس يفتح إلى اليمين من بيت الصلاة، وتحتوي الميضاة على منشآت مائية يستعملها المصلون، كما أن هناك بناء مثمن الأضلاع صغير مزود–بنافورة رئيسية للمياه وحنفيات نحاسية التي تصرف في نهاية المطاف في البالوعات المغطاة بألواح مرمرية مثقوبة، وأمام كل حنفية مقعد مرمري يجلس عليه الشخص الذي يريد الوضوء على مسطبة، ويضع رجليه على الساقية المستخدمة لتصريف المياه ويُغْرف الماء من الساقية[40].

---

[38]– ابن الشماع، مصدر سابق، ص 68.

[39]– ابن الخوجة، مصدر سابق، ص 157 – 158.

[40]– برنشفيك، روبار Brunschvig Robert، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م، نقله إلى العربية، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي ج2، بيروت – لبنان، ط1–/ 1988م، ص 434 – 435.

إن هذه الميضاة التي سبق التحدث عنها متأثرة بالتيار المعماري المشرقي الذي تميز بقباب الجصي والزليج، وهما من التقاليد العمرانية الإفريقية، وإن هذا النظام المعماري يرجع إلى تقاليد عائدة إلى الأغالبة ونلاحظ التأثير المشرقي في القوس الحدوي الشكل والذي فيه تناوب بين فقراته البيضاء والسوداء وهو تأثير مصري مملوكي، كما أن عملية التوشية من المرمر الأبيض والأسود هي عملية متّبعة في عمائر المماليك الذين عاصروا الحفصيين وكانت موجودة في مبانيهم التي شيدوها في القاهرة، فعكست ترفهم في استخدام الزخارف المتعددة الألوان بالجدران والبلاطات، وتقابل التوشية في العمائر الأندلسية، التوشية بالآجر المحمر بالمينا كما أن هذه التوشية المرمرية والفقرات ذات اللونين لم تكن موجودة في المعالم الأخرى في إفريقية وهذه دلالة على أنها وافدة من مصر خلال العهد الحفصي وبالتحديد في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي[41].

ومن مظاهر التأثر المشرقي في العمارة في إفريقية الحنفيات العمومي(السبل–) للشرب التي انتشرت في تونس خلال العهد الحفصي، ويتضح كذلك في عملية– البناء في تناوب الحجارة الداكنة والفاتحة، وفي الناحية المعمارية العسكرية، ويتضح التأثير المشرقي السوري في الأروقة الأمامية لأبواب المنستير، وقد سهّل على انتقال هذه التيارات الفنية العلاقات الاقتصادية والثقافية، ورحلات الحج[42].

هذه باختصار مظاهر التأثير المشرقي في العمارة في إفريقية خلال العهد الحفصي.

[41]– ابن الشماع، مصدر سابق، ص 126.

[42]– الدولاتلي، مرجع سابق، ص 186–188.

ج – التأثير الأندلسي:

كان التأثير الأندلسي في إفريقية واسع النطاق وأكثر فعالية من التأثير المشرقي فكان فارضاً نفسه على كل الأبنية في إفريقية وخاصة العاصمة تونس.

عمل أمراء بني حفص بالعرفاء القادمين من الأندلس ومنهم الأمير أبو زكرياء يحي (625 – 647 هـ / 1228 – 1249م–) لذلك أصبحت تونس مدينة ذات طابع أندلسي فاهتمت بتيجان أعمدة سوق القماش وفي ظاهرة انتشار القصور والبساتين التي شهدتها الدولة الحفصية في بدايتها[43].

كقصر أبي فهر وقصر الطابية...الخ، أما الحدائق فاستُمِدّت من أهل الأندلس حيث كان عددها لا تقل عن 4000 حديقة، ولا يوجد من سكان المدينة إلاّ وله بستان، أو حديقة فيها جميع أنواع الأزهار، والأشجار المثمرة، وتمتاز هذه البساتين بالنظام والعناية، وكانت هذه الحدائق تحوي بنايات مرتفعة أرضيتها مغطاة بالحجارة المزينة، ويوجد فيها كذلك صهريج وحمّام للصيف وآخر للشتاء، وكان من أجمل هذه الحدائق والبساتين هي التابعة للأمراء–الحفصيين، وكانت أرضية هذه الحدائق مغطاة بجليز أبيض ناصع وأصفر ليموني، وأزرق سماوي وأسود مع أشكال وصور وألوان متعددة ومختلفة، وفي الوسط الأرضية، وفي كل قاعة حوض مستدير من المرمر الأبيض، وبداخل الحوض نافورة، ويطول الحديث والوصف عن هذه الحدائق والبساتين، والتي اقتبست طريقة عملها، وإقامتها من طرق الأندلس في إنشاء الحدائق والمنتزهات [44].

---

[43]– المرجع السابق، ص 189 – 190.

[44]– برنشفيك، Brunschvig Robert، مرجع سابق ج2، ص 436.

إن التأثيرات الأندلسية في المباني والبيوت والحدائق والقصور في إفريقية كثيرة ومتنوعة وسوف نتطرق لبعض النماذج العمرانية كالزوايا مثل زاوية سيدي قاسم الزليجي*والزوايا المعاصرة لها كزاوية ابن عروس**وزاوية أحمد الكلاعي***،ففي زاوية الزليجي تتضح التأثيرات الأندلسية في بناء الزاوية وفي الأعمدة الصغيرة التي وجدت في أركان هذه الزاوية وكان للأعمدة تيجان أندلسية صرفة وفي السقف الهرمي المضاعف الذي عوّض القبة الإفريقية التقليدية يتضح لنا التأثير الأندلسي في استخدام الزخارف الجصية والخزف المتعدد الألوان، وضع الزليج بنوعيه الأول ذي الأطباق النجمية والشريطان ذات الزخارف المشبكة أو الخطوط المنكسرة، ونفهم من خلال الوصف للزاوية أن العناصر الأندلسية كانت تطغى على هذا المعلم بصفة عامة وهذا لا يعني أنه لم يشهد عناصر مغربية عريقة في التقاليد الإفريقية، إلاّ أن العناصر الأندلسية ظهرت مع العناصر المغربية لتعطي لنا عنصراً معمارياً

*– زاوية قاسم الزليجي: أسسها أبوالفضل قاسم بن أحمد الصدفي الفاسي أصيل مدينة فاس، تعلم مهنة الفخار في الأندلس واقترن اسم الزليجي به نظراً المهنة التي امتهنها وهي صناعة الزليج(القيشاني–) / الدولاتلي، مرجع سابق، ص 168–180.

** زاوية بن عروس: أسسها أبو العباس أحمد بن عروس بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر صاحب الطريقة العروسية عام (895 هـ / 1490 م–) / السائح، علي حسين، لمحات من التصوف وتاريخه، منشورات كلية الدعوة الإسلامية / 1994 م، ص 323.

***– زاوية أحمد الكلاعي: ينتسب إلى أحمد بن الحسن بن علي بن الزيّات الكلاعي، من أهل بلش مالقة، كان خطيب ومتصوف شهير كثير العبادة حسن الخلق–/ ابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة ج1، تحقيق: محمد عبدالله عثمان، القاهرة، دار المعارف / 1955 م، ص287.

جديداً سيظهر مع بداية العصور الحديثة، ومن خلال القصور التونسية الحديثة التي برزت في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي[45].

وخلاصة القول إن البناء خلال العهد الحفصي قد بلغ شأواً كبيراً وأحرز تقدماً ملحوظاً بفضل قدوم الأندلسيين إلى تونس، فتقدم فن العمارة والتشييد كصناعة الدهن والنقش وخاصة على الخشب والحفر فيه وعى الجص لتزيين السقوف–الجدران، وظهرت صناعة الجير والجص والآجر والركز والطابية*والصباطة** التي تعتبر من أهم صناعات البناء وصناعة الزليج بأنواعه والتي كانت من أبرز الصناعات التي جاءت مع أهل الأندلس بعد الهجرات الأندلسية–إلى تونس، وبرز في هذه الصناعة أعداد كبيرة من العرفاء والأمناء الذين كانت لهم دراية وخبرة بعلم الهندسة وقواعدها، وكان من أبرز الأمناء الذين اشتهروا وبرزوا بعد الهجرات الأندلسية(سليمان النيفر–) مهندس صومعة الجامع الأعظم(جامع الزيتونة–) بتونس العاصمة، وكان لهذا المهندس العديد من المؤلفات في علم البناء، ومنها كتابه(بلوغ المنى في قواعد الرم والبناء–)[46].

كل ما سبق تبيانه في هذا البحث، تناول الحياة العمرانية في إفريقية خلال العهد الحفصي، ولم نتطرق إلى تفاصيلها بالكامل، بل تم التركيز على الهام منها فقط.

المبحث الخامس: وصف العمارة في الدولة الحفصية:

---

[45]– أبوعيانة، فتحي محمد، بحوث ندوة الأندلس الدرس والتاريخ، تقديم، عبدالله بن عبد المحسن الزكي، الإسكندرية، كلية الآداب، دار المعرفة الجامعية 2– 4 ذي القعدة / 13–15 أبريل / 1994 م، ص 91–92.

*– الطابية: تعني أساس الجدران.

**– الصباطة: يعني تبسيط السطوح.

[46]– عامر، أحمد، مرجع سابق، ص 141.

أبدع الأندلسيون–في تطور الفن المعماري الحفصي في إفريقية، والذي ظهر له طابع متميز وأصيل في تشييد بعض الآثار المنفردة بالجمال، والكمال، والأصالة في الزخرفة، والهندسة، والقباب الخشبية المتراكمة، والمحلات بالزخارف الذهبية، والقباب المقرنصة، والتيجان الأندلسية ذات النوع الكرنتي، والمركب الشائع في عهد الدولة الأموية، والتوريق بالمجصصات، وأعمال القرميد، وجميع هذه الأشكال لم تقتصر على العمارة العمومية فقط، بل شمل حتى المنازل أيضاً بالإضافة إلى الصفائر المسماة المفرنص الذي يطعّم فيه الرخام الأبيض بالرخام الأسود في البلاطات الأرضية[47].

عمل أمراء بني حفص على الاهتمام بالجانب المعماري في إفريقية وخاصة في عاصمة دولتهم تونس، فاستخدموا العرفاء القادمين من الأندلس إلى إفريقية خلال هجراتهم، فجعلوا مدينة تونس ذات طابع أندلسي[48].

قام المهندسون، والبناؤون، والخشابون، وصانعوا الأجر والدهانون الأندلسيون بنقل رسومهم وزخارفهم ونقوشهم المعمارية للمباني الحفصية، فتميز المعمار الإفريقي بالفنون الهندسية، ووجود الزليج في أكثرها واعتماده على الزركشة والنقش على الجدران والسفوح المغطاة بالقرميد[49]، والمثال على ذلك زاوية سيدي قاسم الجليزي

---

[47]– الدولاتلي، مرجع سابق، ص 182 – 184.

[48]– الحشائشي، محمد عثمان، العادات والتقاليد الهدية أو الفوائد العلمية في العادات التونسية، تحقيق، الجيلاني بن الحاج يحي، تقديم، محمد البعلاوي، تونس – سراس للنشر، ومجموعة المطابع الموحدة سراس / 1994 م، ص 109 – 122.

[49]– كرير، علي أحمد، المهاجرون الأندلسيون وتأثيراتهم على المغربين الأدنى والأوسط خلال القرنين السابع والثامن الهجريين / الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، جامعة الزاوية – ليبيا، ط1 / 2012م، ص 351.

التي كانت من أشهر أماكن صناعة الزليج على أشكال منجمه، وأشرطة ذات زخارف مشبكة تعرف في الأندلس بالحبل الجاف[50].

من خلال هجرة الأندلسيين إلى إفريقية خلال العهد الحفصي وتأثيراتهم الكبيرة في العمارة، نجد أنهم تركوا الكثير من المصطلحات المستخدمة في العمارة لم تكن موجودة في إفريقية قبل هجرتهم إليها مثل: اسطال وهو فرش أرضية الغرفة بالحجارة الصغيرة وبرج الحمام الذي يعتبر مصطلح أندلسي، والبغلي وهو الخليط من الرمل الكلسي تلبّس به الجدران، ومصطلح روشن[51].

ومن الأمثلة التي تبعث الدهشة في النفس على عظمة العمارة التي تركها المهاجرون الأندلسيون إلى إفريقية في تونس وطرابلس الغرب ومدينة تستور التي طرقها المهندسون الأندلسيون بهندستها المعمارية بالطريقة ذات الشكل الهندسي البديع والتي تعد من المدن القلائل التي بقيت محافظة على صورتها العامة لطابعها الأندلسي لفن العمارة المتميز باستقامة الشوارع المتقاطعة في شكل شطرنجي، وشبابيكها المطلة على زقاقها على طراز القري الأوربية وتغطية سقوفها بالقرميد وتزيين واجهات منازلها بالزخرفة والتيجان والأقواس.

أما البناءات الدينية فظهرت فيها التأثيرات في الصومعات والمحاريب، والمآذن الشامخة والفن المدجّن والقباب المنقوشة والكتابات، وكان الرواق الشرقي بجامع الزيتونة يرتفع على أعمدة وتيجان ومسقوف بالخشب المدهون الذي صممه وبناه المهندس ابن غالب الأندلسي، وجددت صومعته بزخارفها العلوية بإشراف مهندسين

---

[50]– جورج، مارسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة، محمود عبدالصمد هيكل، توزيع منشأة المعارف، الإسكندرية–/ 1991م، ص 198.

[51]– كرير، مرجع سابق، ص 352.

أندلسيين، وهناك زوايا ومدارس وأسواق ومنازل وقصور وأبراج وجوامع ومقامات، سواء كانت في تونس أو طرابلس الغرب بإفريقية خلال العهد الحفصي قام ببنائها جماعات من الأندلس تشهد لهم على ما بذله الأندلسيون المهاجرون في العمارة والبناء والإنشاءات على مختلف أنواعها[52].

ومن المنشآت العمرانية التي أُنْشِئت على يد الأمير الحفصي أبي فارس عبد العزيز تلك المحارس الجميلة التي تحيط بالثغور كمحرس الحمامات وأبي الجعد وأدار، ورفراف[53]

وأنشأ على الصعيد الحربي والدفاعي العسكري حصن تونس وتجديد رسوم القصبة [54]،كانت الدولة الحفصية بالإضافة إلى اهتمامها بالعمارة المدنية اهتمت بالعمارة العسكرية، فرممت قصبة مدينة باجة، وحصّنت رباط المنستير وصفاقس والكاف وغيرها، وكانت الواحدة منها بمثابة مدينة مصغّرة حصينة محاطة بصور، ومنها محارس رأس أدار والحمامات ورفراف كما سبق القول[55].

مما سبق يتبين أن الحياة العمرانية في إفريقية خلال العهد الحفصي اهتم بهذا الجانب معظم الأمراء الحفصيين وذلك بالتوسع في العمارة المدنية والعسكرية في

---

[52]– الإدريسي، محمد بن عبد العزيز الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق مكتبة الثقافة الدينية، ج1 /2002 م، ص17.

[53]– حسن، محمد، المدينة والبادية في إفريقية في العهد الحفصي ج2، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الاجتماعية، تونس، ط1 / 1999م، ص 599.

[54]– الجيبي، نزيهة أبو القاسم، الهجرات الأندلسية وأثرها على منطقتي تونس وليبيا في الفترة من نهاية القرن الثالث عشر الميلادي حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط1 / 2009م، ص 202 – 205.

[55]– المطوي، مرجع سابق، ص 595.

مختلف مدن وقرى إفريقية، ومما زاد في إثراء الحياة المعمارية والحركة الفنية هي الهجرات الأندلسية إلى إفريقية مما جعلها(إفريقية–) وخاصة تونس وارثة للعمارة الأندلسية لمجموعة كبيرة من الآثار الفنية البديعة التي لازالت قائمة حتى هذا الوقت.

الخاتمة:

استخلاصاً لما تم عرضه في هذا البحث (الحياة العمرانية خلال العهد الحفصي–) يمكن التوصل للاتي:

1–تعدد–وتنوع–السكان–فازداد العمران بفضل اهتمام الأمراء بهذا الجانب وما أحدثته الهجرات الأندلسية من متغيرات اجتماعية وأخرى عمرانية وفي حركة البناء والهندسة المعمارية بصورة عامة.

2–بروز تونس كمدينة سياسية في إفريقية فازداد عمرانها وعدد سكانها وتنوعت مراكزها المختلفة ومبانيها العمرانية والمعمارية وخاصة القصور والزوايا إلى غير ذلك من المراكز والمؤسسات العمرانية التي تخدم نواحي الحياة المختلفة، وكذلك مدينة طرابلس الغرب المعقل الشرقي للدولة الحفصية.

3–تميزت الحياة العمرانية خلال العهد الحفصي ببروز العديد من التأثيرات المعمارية والزخرفية ما بين مغربية ومشرقية وأندلسية، وذلك بفعل هجرة المهندسين الأندلسيين ومساهمتهم في عملية البناء والتشييد في إفريقية خلال العهد الحفصي.

4–شهدت الحياة العمرانية في إفريقية خلال العهد الحفصي نمواً وتقدماً وازدهارا عما كانت عليه في العهد الموحدي، نتيجة تقدم الجوانب السياسية ولاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وذلك بانتشار الأمن والاستقرار خلال تلك الفترة الزمنية الطويلة، فكثرت المنشآت العمرانية، –والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية.

5-العهد الحفصي في إفريقية كان من أزهى العهود الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي، لما حققته الدولة الحفصية من نجاح شمل جميع المجالات، فانعكس ذلك على ازدهار الحياة العمرانية بنوعيها المدني والعسكري في إفريقية لاتزال آثاره ماثلة حتى اليوم.

6-ظهور العديد من الصناعات المستخدمة في البناء والتشييد مثل صناعة الجير والجصي والآجر والعديد من المؤلفات في علم البناء والتشييد.

7-ترك الأندلسيون العديد من المصطلحات المستخدمة في البناء لم تكن موجودة بإفريقية قبل مجيئهم إليها مثل: إسطال، وبرج الحمام، والبغلي، وروشن-وغيرها.

8-بقيام الدولة الحفصية بإفريقية، وهجرة الأندلسيين إليها، وترحيب الأمراء الحفصيين بالمهاجرين الأندلسيين منذ قيام دولتهم، واهتمام الحفصيين بالجانب المعماري، وكذلك نقل تلكم المهاجرين لفنون العمارة إلى إفريقية، وخاصة مدينة تونس مما جعلها ذات طابع أندلسي خاص.

المصادر والمراجع:

1-الإدريسي، الشريف أبوعبدالله محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية / 2002م.

2-التيجاني، أبو محمد عبدالله، الرحلة دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس – الجماهيرية / ب-ت.

3-الحشائشي، محمد بن عثمان، العادات والتقاليد التونسية الهدية أو الفوائد العلمية في العادات التونسية، تحقيق / الجيلاني الحاج، تقديم / محمد اليعلاوي، تونس سراس للنشر، المطابع الموحدة مجموعة سراس / 1994م.

4–الحميري، محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان / ب–ت.

5–ابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق–/ محمد عبدالله عثمان، دار المعارف – القاهرة / 1955.

6–ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن جلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر–)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1 / 1992م.

7–ابن الخوجة، محمد تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد . تحقيق وتقديم / الجيلاني بالحاج وحمادي الساحلي، بيروت – لبنان، ط2 / 1985م.

8– ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة النهضة / 1931م.

9–الزركشي، أبوعبدالله محمد تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، المكتبة العتيقة – تونس / 1966م.

10– ابن الشماع،أبو عبدالله محمد الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق / الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب / 1984م.

11–ابن أبي ضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر، 1976/.

12–أبوعبدالله، محمد بن علي بن أحمد، رحلته تحقيق وتقديم / علي إبراهيم كرودي، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 / 1999م.

13–ابن القنفذ، أبو العباس أحمد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم / محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر / 1968م.

14–الوزّان، حسن بن محمد، وصف إفريقيا ترجمه عن الفرنسية / محمد حاجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2 / 1983م.

ثانياً– المرجع العربية:

1–حسن، محمد، المدينة والبادية في إفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الاجتماعية – تونس، ط1 – ج2/ 1999م.

2–خورشيد، إبراهيم زكي، دائرة المعارف الإسلامية، ج10.

3–الرجيبي، نزيهة أبو القاسم، الهجرات الأندلسية وأثرها في منطقتي تونس وليبيا في الفترة من نهاية القرن الثالث عشر الميلادي حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس – ليبيا، ط1 / 2009م.

4–عامر، أحمد الدولة الحفصية، دار الكتب الشرقية، تونس / ب–ت.

5–العامري، محمد الهادي، تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول، الشركة التونسية للنشر والتوزيع / ب– ت.

6–كرير، علي أحمد، المهاجرون الأندلسيون وتأثيراتهم على بلاد المغربين الأدنى والأوسط خلال القرنين السابع والثامن الهجريين–/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ط1، جامعة الزاوية – ليبيا / 2013 م.

7– المطوي، محمد العروسي، السلطنة الحفصية، دار الغرب الإسلامي، مؤسسة نزيه كركي / 1986م.

ثالثاً- المرجع المترجمة:

1- برنشفيك، روبار، Brunschvig Robert، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ط1- ج2، -من القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن الخامس عشر، نقله إلى العربية / حمادي الساحلي، بيروت – لبنان / 1988م.

2- الدولاتلي، عبد العزيز، مدينة تونس في العهد الحفصي، تعريب /محمد الشاذلي وعبد العزيز الدولاتلي، دار سراس للنشر / 1981م.

رابعاً – الدوريات:

1- السائح، علي حسين لمحات عن التصوف وتاريخه، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، / 1994.

2- أبو عيانة، فتحي محمد بحوث ندوة الأندلس للدرس والتاريخ، تقديم / عبد العزيز بن عبد المحسن، التركي، الإسكندرية – جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، دار المعرفة الجامعية، 2 – 4 ذو القعدة / 1414 هـ / 13 – 15 أبريل / 1964م.